المعاهدات والمواثيق النبوية كوسائل الدعوة

Treaties and Covenants as a Tool of Da‘wah

أحمد حماد هاشمي

باحث الدكتوراه قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين ،الجامعة الإسلامية إسلام آباد

Email: ahhashimi@gmail.com

دكتور أسامة إبراهيم الشربيني

الأستاذ المساعد قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين ،الجامعة الإسلامية إسلام آباد

Abstract:
This article examines the Prophet Muhammad’s صلى الله عليه وسلم approach to Islamic preaching, highlighting the strategic use of treaties, covenants, and letters. It shows how the Prophet صلى الله عليه وسلم combined wisdom, patience, diplomacy, and exemplary moral conduct to spread Islam effectively, both within Arabia and internationally. Key examples, such as the Charter of Medina, the Treaty of Hudaybiyyah, and letters sent to rulers like Caesar, Khosrow, and Negus, demonstrate how peace, justice, and religious tolerance were embedded in agreements to create a favorable environment for the message of Islam. The study emphasizes that these principles remain relevant today, offering guidance for contemporary Muslim engagement in global diplomacy, interfaith dialogue, media, and institutional initiatives. By reflecting on the practical application of these prophetic methods, the article provides a model for addressing modern social, political, and intellectual challenges while upholding ethical and peaceful principles.

Keywords: International Diplomacy, Treaty of Hudaybiyyah, Charter of Medina, Dawah, Letters of the Prophet

إنّ رسالة الإسلام دعوةٌ عالمية تتجاوز الحدود الجغرافية والأعراق البشرية، ولذلك فإنّ نشرَها يقتضي وجودَ علاقاتٍ دوليةٍ منظَّمةٍ قائمةٍ على التفاهم والتعاون. وقد جسّد النبيّ صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في واقع حياته، إذ قدَّم للعالم نموذجًا فريدًا في الدبلوماسية الدعوية التي تمزج بين الحكمة السياسية والرحمة الإنسانية. فالمعاهدات التي عقدها مع القبائل والأمم لم تكن مجرّد اتفاقياتٍ وقتية، بل كانت وسيلةً لتحقيق المقاصد الشرعية والدعوية، وفهمٍ عميقٍ لسنن الاجتماع البشري وأسس التعامل بين الشعوب.

لقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عددًا من المكاتيب إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، كهرقل ملك الروم، وكسرى ملك فارس، والمقوقس حاكم مصر وغيرهم. ولم تكن تلك الرسائلُ مجرّد دعواتٍ دينية، بل كانت تمثّل في جوهرها أسسَ العلاقات الدولية في المنظور الإسلامي، إذ أقامتْ جسورَ التواصل بين الدولة الإسلامية الناشئة وسائر القوى العالمية. ومن خلال هذه المراسلات والوفود، عرض الإسلام صورتَه الحقيقية القائمة على السِّلم والعدل والتعايش، دون هيمنةٍ أو استعلاءٍ سياسي.

كانت معاهدات النبي صلى الله عليه وسلم ـ كصلح الحديبية مثلاً ـ برهانًا واضحًا على أنّ الإسلام يقدّم السَّلام طريقًا للدعوة قبل الحرب، وأنّ الحوارَ والمفاوضة سبيلان لفتح القلوب والعقول قبل فتح البلدان. وقد مكّن هذا الاتفاق من نشر الإسلام في أجواءٍ آمنةٍ، حتى تضاعف عدد المسلمين بعد الصلح بأضعافٍ كثيرة، كما تذكر المصادر التاريخية المعتبرة. وهكذا أثبتت التجربة النبوية أنّ السلامَ هو أبلغُ وسيلةٍ للدعوة، وأنّ الأمنَ والاستقرار هما البيئةُ الطبيعية لنموّ الإيمان.

وفي عصرنا الحاضر، تحوّل العالم إلى ما يُعرف بـ"القرية الكونية"، حيث سهَّلت وسائلُ الاتصال الحديثة كالإعلام والإنترنت والتبادلات الأكاديمية والعلاقات الدبلوماسية إمكانَ إيصال رسالة الإسلام إلى مختلف الشعوب. فإذا أحسنت الأمةُ المسلمةُ توظيفَ هذه الوسائل في ضوء مقاصد الشريعة وروح الدعوة، فإنّ الدعوة الإسلامية يمكن أن تمتدّ على نطاقٍ عالميٍّ واسع، وتستعيدَ مكانتها الرائدة في إصلاح الإنسان والمجتمع.

ومن أبرز جوانب العلاقات الدولية في الرؤية الإسلامية الحوارُ الحضاري، إذ لا تقوم الدعوة على الإكراه أو الإقصاء، بل على الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة تُبرز أنّ أساسَ الدعوة هو الحكمةُ والخلقُ الحسن والمجادلةُ بالتي هي أحسن، وهي ذات المبادئ التي تقوم عليها العلاقات الدولية الناجحة في العصر الحديث.

إنّ الدعوة إلى الله هي جوهرُ رسالة الإسلام، والعلاقاتُ الدولية ليست سوى وسيلةٍ من وسائل تحقيقها. وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته بين روح الدعوة وحكمة السياسة، فكانت دعوته رحمةً للعالمين، وسياسته نموذجًا في الإنصاف والوفاء وحفظ الكرامة الإنسانية. ومن خلال المعاهدات والمواثيق والعلاقات السِّلمية، أقام النبي صلى الله عليه وسلم أسسَ دولةٍ قائمةٍ على العدل والحرية والمساواة، فغدت دعوته العالمية دعوةً إلى إنسانيةٍ راقيةٍ لا تُعرف إلا من خلال هدي الإسلام.

لقد أبرم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرته الدعوية عددًا من المعاهدات والمواثيق التنظيمية مع القبائل والجماعات المختلفة، هدفُها تحقيقُ الأمن المشترك، وترسيخُ السِّلم الاجتماعي، وضمانُ حرية المعتقد والعبادة. وتكشف هذه الوثائق عن عمق الرؤية النبوية في بناء مجتمعٍ متماسكٍ

قائمٍ على العدالة والتسامح، وعن أنّ الدبلوماسية في الإسلام ليست غايةً في ذاتها، بل أداةٌ لنشر الخير وإيصال الهداية.

منهج الدعوة الإسلامية وحكمتها التدريجية

إنَّ الدعوة إلى الله من أركان العمل الإسلامي الأساسية، وهي الوظيفة التي ورثها العلماء والدعاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بوصفها امتدادًا لرسالته الخاتمة. وقد أسّس القرآن الكريم هذا المنهج على قواعد الحكمة والبصيرة والتدرّج؛ قال تعالى:"**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**"[1] وهي آيةٌ جامعةٌ رسمت ملامح الاستراتيجية الدعوية القائمة على التعقّل، والرِّفق، ومراعاة أحوال الناس ومستوياتهم الفكرية والاجتماعية.[2]

إنّ الدعوة الإسلامية لا تقتصر على تبليغ الأحكام أو نقل المعلومات، بل غايتُها إصلاحُ القلوب والعقول، وتقويمُ الفكر والسلوك، وبناءُ مجتمعٍ مؤمنٍ قائمٍ على العدل والإيمان .ومنذ بزوغ فجر البعثة النبوية، سلك النبي صلى الله عليه وسلم سبيلًا حكيمًا في دعوته، قائمًا على التنظيم والتدرّج؛ فكان أول ما بدأ به الدعوةَ إلى التوحيد والإيمان بالآخرة، لأنهما الأساس الذي تُبنى عليه العقيدة والأخلاق والنظام الاجتماعي.[3]

وفي المرحلة المكية، اتّخذ النبي صلى الله عليه وسلم أسلوبًا سريًّا لتربية نخبةٍ من المؤمنين الصادقين الذين حملوا همّ الدعوة في بيئةٍ معاندةٍ، مثل: أبي بكر الصديق، وخديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.[4] فكان هؤلاء نواةً للجيل الأول الذي بُني عليه صرح الإسلام، وغُرست فيهم مبادئُ الصبر والثبات والإخلاص.

ثمّ لما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، تحوّلت الدعوة إلى نظامٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ متكاملٍ، يهدف إلى بناء الدولة على أساس الإيمان، وترسيخ العدالة، وتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم. وبهذا تحقّق مبدأ المرونة في الوسائل والثبات في المقاصد؛ فالمقصد واحد وهو إعلاء كلمة الله، أما الوسائل فتتغيّر بتغيّر البيئات والظروف.[5]

ومن دلائل الحكمة النبوية في المنهج الدعوي مبدأُ التدرّج في الأحكام، وهو قاعدة تربوية واجتماعية عميقة، تُراعي طبيعةَ النفس البشرية في الانتقال من حالٍ إلى حال. فقد نزلت أحكامُ الشراب والرّبا والقتال على مراحل متتابعةٍ حتى تأهّلت النفوس لقبولها. وهذا ما أشار إليه الإمام ابن القيم الجوزية بقوله:

"إنّ الشريعة جاءت على التدرّج في الأحكام والمقاصد، مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، لأنّ النفوس لا تنتقل من حالٍ إلى حالٍ دفعةً واحدة".[6]

لقد أسّس النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان في القلوب قبل تكليف الأجساد بالأعمال، فربّى الصحابة على الإيمان ثم الصبر ثم الهجرة ثم الجهاد، حتى تكوّنت بهم الأمة التي حملت الرسالة للعالمين. وبذلك يظهر أن التدرّج النبوي منهجٌ تربويٌّ ودعويٌّ شاملٌ، جمع بين البصيرة في الدعوة والرحمة في التطبيق.[7]

الأهمية الدعوية للمعاهدات والمواثيق النبوية

إنَّ الإسلام قد أرسى مبدأَ المعاهدة والسِّلم بديلاً عن الحرب والاقتتال، إذ جعل من الحوار والتفاهم وسيلةً لتحقيق الأهداف الدعوية والإنسانية. فالمعاهدة في المفهوم الإسلامي ليست مجرد اتفاقٍ سياسيٍّ مؤقّت، بل هي مدخلٌ لبناء الثقة وتبادل المصالح المشروعة، ووسيلةٌ لعرض الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة.[8]

ومن خلال المعاهدات تُبنى جسورُ التواصل بين الشعوب، وتُهيَّأ الأجواء لتبليغ رسالة الإسلام بروحٍ من السلام والتفاهم، بعيدًا عن الإكراه والصدام. وقد تجلّى هذا المفهوم بوضوحٍ في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي استخدم المواثيق كآليةٍ دعويةٍ راقيةٍ، تُظهر سماحة الإسلام وتُجنِّب الأمةَ ويلات الحروب.[9]

أولًا: ميثاق المدينة

يُعَدُّ ميثاقُ المدينة أولَ دستورٍ مكتوبٍ في التاريخ الإسلامي، وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فور هجرته إلى يثرب، ليكون نظامًا جامعًا ينظِّم العلاقات بين المهاجرين والأنصار واليهود وسائر سكان المدينة. وقد تضمّن هذا الميثاق نحو سبعٍ وأربعين مادة، نظَّمت الحقوقَ والواجبات، وأرست مبادئَ الحرية الدينية والعدالة الاجتماعية والتعاون في الدفاع المشترك.[10]

ومن أهم بنوده ما نصَّ على "أنَّ اليهود على دينهم، والمسلمون على دينهم" مما يؤكد على حرية المعتقد وضمان التعايش السلمي في ظلّ الدولة الإسلامية الناشئة.[11]وقد كان هذا الميثاق نموذجًا تطبيقيًّا للعدالة والرحمة في التعامل مع الآخر، حيث أُقرَّ فيه مبدأُ المواطنة المشتركة على أساس العهد، لا على أساس الدين أو العِرق، فجعل من المدينة مجتمعًا مدنيًّا متماسكًا يجمع بين الأديان تحت مظلة العدالة.

أولاً: ميثاق المدينة

إنّ ميثاق المدينة لم يكن وثيقةً سياسيةً فحسب، بل كان أيضًا منطلقًا دعويًّا عظيمًا؛ فقد أسّس للعيش المشترك، ورسّخ قيمَ السلم والتسامح، وفتح القلوب لقبول الإسلام من خلال المعاملة الحسنة والوفاء بالعهد، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إسلامًا.[12]

ثانيًا: صلح الحديبية وأبعاده الدعوية

أما صلحُ الحديبية، فقد كان معاهدةً تاريخيةً أبرمها النبي صلى الله عليه وسلم مع قريشٍ في السنة السادسة للهجرة (628م)، تضمّنت هدنةً لعشر سنوات، واتفاقًا على تأجيل العمرة إلى العام القادم، وحريةَ التحالف مع أيٍّ من الطرفين.[13] ورغم أن شروطها بدت قاسيةً على بعض المسلمين، فقد وصفها القرآنُ بأنها فتحٌ مبينٌ، قال تعالى:"إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا"[14]

قال الإمام ابن القيم الجوزية:" فكان صلح الحديبية من أعظم الفتوح، بل هو الفتح الأعظم.إذ أمن الناسُ واختلطوا، فبلغت الدعوة كلّ موضع"[15]

وقد ظهرت في هذا الصلح عدة أبعادٍ دعويةٍ عميقة، من أهمها ما يأتي:

الدعوة من خلال السِّلم لا الحرب

لقد منح الصلحُ المسلمين فرصةَ عشرِ سنواتٍ من الأمن، تفرّغوا خلالها للدعوة والتعليم، فانتقل الإسلام من مرحلة الدفاع إلى مرحلة التبليغ الحرّ والمنظَّم .ومن هنا بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بمراسلة الملوك والزعماء، داعيًا إيّاهم إلى الإسلام بالحكمة واللين، مثل قيصر الروم، وكسرى الفرس، والنجاشي، والمقوقس وغيرهم.[16]

تهيئة المناخ الاجتماعي للدعوة

من بنود الصلح السماحُ للقبائل بالتحالف الحرّ، فاختارت قبيلة خزاعة الانضمام إلى المسلمين، مما زاد من اتّساع النفوذ الدعوي والاجتماعي للإسلام. وبهذا أصبحت القبائل تقترب من المسلمين عبر التعامل والمصاهرة، فانتشرت القيم الإسلامية عمليًّا قبل أن تُفرض بالقوة.[17]

إظهار القوة الأخلاقية للإسلام

رغم أن بعض الشروط كانت ظاهرها قاسية كإعادة من يأتي مسلمًا من قريش دون إذن وليّه فإن النبي صلى الله عليه وسلم التزم بها بكل أمانة، فكان ذلك دليلًا على سموّ الخُلُق وصدق الالتزام بالعهود، وهو ما أثّر في قلوب المشركين. ومشهد أبي جندل رضي الله عنه مثالٌ على ذلك؛ إذ أبى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقض شرطًا من الشروط، إعلاءً لقيمة الوفاء بالعهد.[18]

الدعوة بالاختلاط الاجتماعي والتواصل الإنساني

بعد الصلح سُمِح للمسلمين والمشركين بالتواصل والسفر بين مكة والمدينة، فاختلط الناس وتعرّفوا إلى الإسلام عن قرب، فكان لذلك أثرٌ بالغٌ في دخول أعدادٍ كبيرةٍ في الإسلام. يقول المؤرخون: إن عدد من أسلم بعد الحديبية في عامين فاق عدد من أسلم في جميع السنوات السابقة. [19]

الانطلاقة العالمية للدعوة الإسلامية

لقد مهّد صلح الحديبية الطريق أمام العهد الدعوي العالمي، إذ أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعده الرسائل إلى الملوك في الشرق والغرب، يدعوهم إلى التوحيد. فكان هذا الحدث نقطةَ تحوّلٍ محورية في تاريخ الدعوة، إذ ثبت أن الإسلام لا ينتشر بالسيف، بل بالحوار، والقدوة، والأمانة، والرحمة. [20]

المعاهدات النبوية مع القبائل اليهودية في المدينة

لقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة علاقاتٍ سياسيةً منظَّمة مع القبائل اليهودية المقيمة فيها، مثل بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وذلك من خلال سلسلةٍ من المعاهدات التي هدفت إلى تحقيق التعايش السلمي وضمان الأمن الداخلي وتنظيم الحقوق والواجبات.

وقد نصَّت هذه المعاهدات على مبادئ أساسية، من أهمها:

- الالتزام بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أيّ عدوان خارجي.
- ضمان الحرية الدينية لجميع الأطراف دون إكراهٍ أو تمييز.
- التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال وقوع أيّ نزاعٍ بين الأطراف المتعاقدة.

وجاء في نصوص هذه المعاهدات كما نقل ابن هشام:

"لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُجيره إلا نفسه"[21]

وهذا النصّ يُعدّ دليلاً صريحًا على أن الدولة الإسلامية في المدينة لم تكن دولةً دينيةً مغلقة، بل كانت دولةً مدنيةً تعدديةً قائمةً على العهد والعدل، تكفل الحقوق لجميع رعاياها مهما اختلفت أديانهم.

ومن خلال هذه المواثيق أسّس النبي صلى الله عليه وسلم نموذجًا متقدّمًا في الإدارة المتعددة الأديان (التعددية الدينية)، حيث ظلّ اليهود يمارسون شعائرهم بحرية، ويتمتعون بحماية الدولة ما داموا ملتزمين بالعهد. وقد وصف المؤرخون هذه المرحلة بأنها البداية الفعلية لبناء نظامٍ قانونيّ شاملٍ يقوم على مبدأ المواطنة والعدالة. [22]

إنّ هذه المعاهدات كانت خطوةً دعويةً بامتياز؛ إذ أبرزت للناس أن الإسلام دينُ عدلٍ لا قهر، ودينُ عهدٍ لا غدر، وأن السلم والوفاء أساسُ العلاقات بين المسلمين وغيرهم. وقد كان لهذه السياسة أثرٌ بالغٌ في تقوية دعائم الدولة الناشئة، وفي كسب ثقة الطوائف المختلفة داخل المدينة.

المعاهدات النبوية مع الجماعات النصرانية

أبرم النبي صلى الله عليه وسلم جملةً من العهود والمواثيق مع الطوائف النصرانية داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومن أبرزها :عهد نجران، وعهد رهبان جبل سيناء، وبعض قبائل الشام .وقد جاءت

هذه العهود في صيغةٍ مكتوبةٍ تحفظ للطرفين الأمن والكرامة والحرية الدينية.ونصَّت تلك الوثائق على مبادئَ ساميةٍ من أهمها:

"أنَّ أرواحهم وأموالهم وكنائسهم ورهبانهم في ذمّة الله ورسوله، وأنه لا يُكره أحدٌ منهم على دينه، ولا يُتعرّض لهم في عباداتهم، ولا يُهدم لهم بيعةٌ أو كنيسة"[23]

ويُعَدّ هذا النصّ من أقدم النماذج القانونية التي أرست مبدأ العدالة بين الأديان وحماية الأقليات الدينية في ظل الدولة الإسلامية. فهذه المواثيق لم تكن مجرد اتفاقات سياسية، بل كانت وثائق إنسانية حضارية تُعبّر عن احترام الإسلام للتنوّع الديني، وتؤسس لحقوق أهل الذمة في العصور اللاحقة.

لقد شكّلت هذه العهود إطارًا متوازنًا للعلاقات الإسلامية النصرانية، إذ وفّرت ضماناتٍ للحياة الكريمة ولحرية الاعتقاد والعبادة، وفي المقابل ألزمت الجماعات النصرانية بالمواطنة الصالحة والالتزام بالوفاء بالعهد .وهذا ما جعلها نماذجَ مبكّرةً للتعايش الديني والتبادل الحضاري في التاريخ الإنساني.

ويمكن القول إنّ هذه المعاهدات لم تكن فقط حمايةً للنصارى، بل كانت أيضًا فرصةً دعويةً وتربويةً أظهر فيها الإسلام وجهه السلمي القائم على العدل، مما ساهم في نشر القيم الأخلاقية وتقوية الثقة المتبادلة بين المسلمين وغيرهم.

المعاهدات والمواثيق مع القبائل والدول العربيةالأخرى

في ضوء عالمية الدعوة الإسلامية، بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم رسائل ومعاهدات إلى القبائل العربية وإلى ملوك ورؤساء الدول المجاورة، كالروم، وفارس، ومصر، والحبشة. وكانت هذه الرسائل ذات طبيعة مزدوجة: دعوية وسفارية في آنٍ واحد، إذ جمعت بين تبليغ رسالة الإسلام وتنظيم العلاقات الدولية والتجارية على أسسٍ من العدل والسلام. وقد وصف ابن القيم هذه المكاتبات بقوله:"هي رسائل دعوية سياسية جمعت بين الدعوة والإصلاح والعلاقات الدولية" [24]

وقد تضمّنت تلك الرسائل دعوةً صريحة إلى الدخول في الإسلام، مقرونةً بعرضٍ للسلم والتعاون والتعايش المشترك، دون إكراهٍ أو تعالٍ. وهكذا تجلّى من خلالها المنهج الدعويّ العالميّ للنبي صلى الله عليه وسلم، القائم على الحوار، والاحترام المتبادل، وتوسيع آفاق الدعوة إلى الإنسانية جمعاء.

المعاهدات المختصرة في السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم

وفي السيرة النبوية نماذجُ أخرى من المعاهدات المؤقتة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم، كاتفاقات تأمين الطرق للقوافل التجارية، ومعاهدات وقف القتال المؤقتة، أو التحالفات الجزئية مع بعض القبائل. وكانت هذه الاتفاقات تمثّل جزءاً من السياسة الدعوية الشاملة التي

انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي هدفت إلى ترسيخ مبادئ الأمن، وضمان حرية التبليغ، وإقامة العدل بين الفئات المختلفة في المجتمع.

فبهذه المعاهدات أرَسَى صلى الله عليه وسلم الأسسَ القانونية للأمن والسِّلم الاجتماعي، وربط العمل السياسي بالدعوة والإصلاح، وجعل من "المعاهدة" وسيلةً دعويةً راقية تُبرز روح الإسلام في التعامل والتعاون.

خلفية المكاتيب النبوية على صاحبها الصلاة والسلام:

بدأ الجانبُ الدولي في الدعوة الإسلامية حينما انتقل النبيُّ محمد صلى الله عليه وسلم من مرحلة الدعوة داخل الجزيرة العربية إلى مرحلة التبليغ العالمي، فبعد أن استقرّ الإسلام في الداخل وأصبحت المدينة المنوّرة مركز الدولة الإسلامية، توجّه صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأباطرة العالم برسائل دعوية تحمل دعوةَ التوحيد ورسالةَ الإسلام الخاتمة. وقد تمّ ذلك حين برز الإسلامُ كقوةٍ اجتماعية وسياسية منظَّمة، تمتلك نظاماً قانونياً وأخلاقياً واضحاً. وكانت القوى العظمى آنذاك هي الإمبراطوريةُ الرومانية (قيصر)، والإمبراطوريةُ الفارسية (كسرى)، ومملكةُ الحبشة (النجاشي)، وحكومةُ مصر (المقوقس)، فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، فكانت تلك المكاتيبُ اللبنةَ الأولى في بناء الدعوة الإسلامية العالمية.

الأهمية الدعوية للمكاتيب النبوية:

في السنة السادسة أو السابعة للهجرة، وبعد صلح الحديبية الذي أرسى حالةً مؤقتةً من السلم بين المسلمين وقريش، استثمر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الظرفَ التاريخي لتوسيع دائرة الدعوة خارج الجزيرة العربية. فبعد أن بلغ الإسلامُ معظم القبائل العربية، رأى صلى الله عليه وسلم أن المرحلة التالية هي إيصال رسالة الإسلام إلى الملوك والحكّام في الخارج. وقد ذكر ابن سعدٍ رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعد السنة السادسة للهجرة كتباً إلى عددٍ من الملوك، حمَلها إليه صفوةٌ من الصحابة رضي الله عنهم كمبعوثين رسميين، وكانت تلك الرسائل مختومة بخاتمٍ خاص من الفضة نُقش عليه :محمد رسول الله، اتُّخذ خصيصاً لهذا الغرض.[25]

لم تكن هذه المكاتيب مجرّد دعواتٍ دينيةٍ خالصة، بل كانت أيضاً عملاً دبلوماسياً مؤسَّساً على مبدأ الحوار والتواصل الحضاري، إذ مثّلت تحوّلاً نوعياً في سياسة الدولة الإسلامية الناشئة، من مرحلة المواجهة المحدودة إلى مرحلة الدعوة العالمية بالحكمة والموعظة الحسنة.

العلاقة بين الدعوة والمعاهدات والمواثيق في السيرة النبوية

إنَّ دراسة السيرة النبوية الشريفة تُبيّن أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يكن مبلغًا دينيًّا فحسب، بل كان مؤسسًا لنظامٍ عالميٍّ متكاملٍ، يقوم على العدل، والتسامح، والتعايش السلمي، واحترام الإنسان، بغضِّ النظر عن عِرقه أو ديانته. فالدعوة في منهج النبي صلى الله عليه وسلم كانت مشروعًا حضاريًّا شاملًا، استهدف بناء الإنسان والمجتمع والدولة على أسسٍ ربانيةٍ وأخلاقيةٍ متينةٍ.وقد تجلت هذه الرؤية في جانبين متكاملين:

المعاهدات والمواثيق من جهةٍ، والرسائل والمكاتيب من جهةٍ أخرى. فالمعاهدات مثلت الجانب الداخلي والتنظيمي للدعوة، أما المكاتيب فكانت امتدادًا عالميًّا لها. وكلاهما يلتقيان في الهدف الأسمى، وهو إيصال رسالة الإسلام بالحكمة والسلم لا بالعنف أو الإكراه.

أولًا: ميثاق المدينة الأساس الداخلي للدعوة السلمية

بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، بادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى وضع وثيقةٍ جامعةٍ، تُعَدُّ في الفكر السياسي المعاصر أولَ "دستورٍ مدنيٍّ" في التاريخ. اشتملت على تنظيم العلاقات بين المسلمين واليهود والمشركين من سكان المدينة، وبيَّنت الحقوق والواجبات، وضمنت حرية الدين والأمن العام، والتعاون على الدفاع المشترك.

قال ابن هشام"وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود، وعاهدهم على أن لا يُظلموا ولا يُظلموا"[26]

وهذا الميثاق لم يكن اتفاقًا سياسيًّا محضًا، بل كان خطوةً دعويةً عميقة، أرست أسسَ السلم الاجتماعي الذي يُعد شرطًا أساسيًّا لأيِّ دعوةٍ ناجحةٍ. لقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل من المدينة نموذجًا حيًّا لمجتمعٍ يقوم على العدالة والتكافل والاحترام المتبادل، ليكون ذلك في حد ذاته دعوةً صامتةً إلى الإسلام.

ثانيًا: صلح الحديبية الدعوة عبر السلام الخارجي

كان صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة منعطفًا تاريخيًّا في مسيرة الدعوة الإسلامية. فرغم أن شروطه بدت في ظاهرها مجحفةً بالمسلمين، فإن الوحي وصفه بـ الفتح المبين.[27]

فقد ضمن هذا الصلح للمسلمين حريةَ الحركةِ والتنقلِ والتبليغِ، وأوجد جوًّا من الثقة السياسية بين قريش والمسلمين. يقول ابن هشام» :فلم تمض سنتان حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وازداد عدد المسلمين أضعافًا مضاعفةً".[28]

وذلك يبرهن أن البيئة السلمية هي أكثر نفعًا في نشر الدعوة من بيئة الصراع. لقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم طريق السلام ليُمهِّد لفتح القلوب قبل فتح البلدان، فكان الحديبية بحقٍّ فتحًا دعويًّا قبل أن يكون فتحًا عسكريًّا.

ثالثًا: المعاهدات القبلية توسيع دائرة الدعوة بالأمن والتفاهم

عقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهداتٍ عديدةً مع القبائل العربية حول المدينة وخارجها، وكان لكلٍّ منها بُعدٌ دعويٌّ واضحٌ، حيث ضمنت الاستقرار، ومهَّدت لانتشار الإسلام بالحوار والمخالطة.

(أ) معاهدة بني ضمرة

عقدها النبي صلى الله عليه وسلم في وادي ينبع، ونصت على أن لا يُغزَى بنو ضمرة، ولا يُغزون المسلمين، وأن يتعاونوا في حال الاعتداء .[29]وكانت هذه المعاهدة أولى الخطوات في ترسيخ الأمن في شمال المدينة، مما أتاح للنبي صلى الله عليه وسلم أن يُوجِّه طاقاته إلى تبليغ الدعوة دون خوفٍ من الخلف.

(ب) معاهدة بني أشجع

وكانت ذات طابعٍ دفاعيٍّ وتحالفيٍّ، حيث تم الاتفاق على السلم وعدم الاعتداء، وعلى التعاون في رد العدوان الخارجي.[30]

وهذه المعاهدات توضح أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الدبلوماسية القبلية وسيلةً لتحقيق هدفٍ دعويٍّ، لا مصلحةً سياسيةً ضيقةً.

رابعًا: البُعد العالمي للدعوة من خلال المكاتيب النبوية

بعد صلح الحديبية، اتجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى توسيع نطاق الدعوة خارج الجزيرة العربية، فبعث برسائل إلى ملوك العالم آنذاك، مثل:

هرقل قيصر الروم،كسرى ملك الفرس،النجاشي ملك الحبشة،المقوقس حاكم مصر،المنذر بن ساوي حاكم البحرين.

قال ابن سعد: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام"[31]

وهذه الرسائل لم تكن مجرد دعواتٍ دينيةٍ، بل كانت تحمل روح الحوار الحضاري والسلم الدبلوماسي.

وقد أشار الدكتور محمد حميد الله إلى أن هذه الرسائل تعدّ "أول نماذج الدعوة الإسلامية في الإطار الدولي المنظَّم"[32]

لقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم من خلال منهجه المعاهداتي أن السلام هو الأصل في الدعوة، وأن الحرب لا تكون إلا استثناءً عند الضرورة القصوى. فالمعاهدات التي عقدها صلى الله عليه وسلم مع القبائل والأمم المختلفة رسَّخت الثقة المتبادلة،ومهَّدت الطريق أمام الناس لاعتناق الإسلام عن قناعةٍ واطمئنانٍ لا عن رهبةٍ أو إكراه. كما مكَّنت تلك المواثيق من إظهار عدل الإسلام وعدالته الاجتماعية والسياسية في الواقع العملي، فشاهد الناس في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم نموذجًا حيًّا للإنصاف، والتسامح، والوفاء بالعهد. وقد أصبحت تلك المعاهدات أنموذجًا يُحتذى به في العلاقات الدولية الحديثة، لما قامت عليه من مبادئ المعاملة بالحسنى، واحترام الآخر، والالتزام بالمواثيق. وهكذا جمع النبي صلى الله عليه وسلم في منهجه بين الدعوة والاتفاق، وبين الرحمة والحكمة، وبين الإيمان والسياسة الراشدة، فكان بحقٍّ رسول السلام ومعلّم الإنسانية في إدارة العلاقات بين الأمم والشعوب.

المنهج الدعوي الشامل للنبي صلى الله عليه وسلم وحكمته في مخاطبة الأمم

لقد اتبع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته منهجًا شموليًّا وحكمةً دعويةً بليغةً تراعي الظروف، والأشخاص، وطبيعة المرحلة. ومن أبرز معالم هذا المنهج الموقعيةُ في الدعوة واستثمارُ الفرص؛ إذ استغلَّ صلى الله عليه وسلم فترةَ الهدنة التي أعقبت صلح الحديبية، فبدأ بإرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمراء في داخل الجزيرة وخارجها، داعيًا إيَّاهم إلى الإسلام في أجواءٍ يسودها الأمن والاستقرارَ[33]وكان ذلك التحرك أولَ خطوةٍ عمليةٍ في التبليغ العالمي للإسلام.

كما تميّزت دعوته صلى الله عليه وسلم بفهمٍ عميقٍ لـ نفسيات الأقوام وطبيعة المخاطَبين؛ فكان يُوجّه كلامه بحسب عقيدة كل أمةٍ ومستواها الثقافي. ففي رسائله إلى هرقل عظيم الروم والنجاشي ملك الحبشة وهما من النصارى أكّد على وحدة الرسالات الإلهية واستمرارية دعوة الأنبياء، فقال في كتابه إلى هرقل"أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين،" وهو تأكيدٌ على دعوة التوحيد التي جاء بها جميع الأنبياء.[34]

وأما كسرى ملك فارس وهو من عبدة النار فقد وجَّه إليه صلى الله عليه وسلم رسالةً تحمل تحديًا عقديًّا واضحًا، بدأها بقوله :"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله"فلم يقبل كسرى الرسالة ومزقها، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً"مزق الله ملكه".[35]

وقد أشار محمد حميد الله إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم راعى في مراسلاته الدبلوماسية اختلافَ المعتقدات والثقافات، فكانت رسائله نموذجًا للحوار الحضاري الراقي، إذ جاءت صيغةُ الخطاب إلى الملوك النصارى بصيغة التوحيد والوحي، وإلى المجوس بصيغة الدعوة الصريحة إلى نبذ الشرك[36].

وهكذا يظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في دعوته يجمع بين البصيرة والموقعية، والحكمة والسياسة الراشدة، فكان خطابه جامعًا بين عمق الإيمان ودقة الفهم الإنساني، مما جعل رسالته تخاطب العقل والضمير معًا.

لقد مثَّلت مكاتيب النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعاهداته الأساسَ الأولَ للدبلوماسية الإسلامية في بعدها الدولي؛ إذ لم تكن دعوته صلى الله عليه وسلم محصورةً في حدود الجزيرة العربية، بل تجاوزت إلى الملوك والسلاطين في أطراف المعمورة. فقد اعتمد صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته على التواصل الرسمي من خلال المكاتيب والوفود، فكانت تلك المراسلات تجسيدًا لسياسةٍ دعويةٍ راشدةٍ تُبرز الوجهَ السلميَّ للإسلام، وتؤسسُ لعلاقاتٍ قائمةٍ على الاحترام المتبادل، والعدل، والوفاء بالعهد.

لقد أرسل صلى الله عليه وسلم كتبه إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى ملك فارس، والمقوقس حاكم مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وغيرهم، مبينًا لهم رسالةَ الإسلام التي تدعو إلى التوحيد، والعدل، والتعاون على البرّ والتقوى. وقد أشار المؤرخون المسلمون إلى أن تلك المكاتيب لم تكن مجرّد دعواتٍ دينية، بل كانت أيضًا وثائقَ ذات طابعٍ سياسيٍّ ودبلوماسيٍّ، تُنظِّم العلاقات بين الدولة الإسلامية الناشئة وسائر الكيانات الدولية المعاصرة. يقول البلاذري" كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكان في كتبه بيانٌ لحكم الإسلام وسيادته في الأرض" [37] ويذكر ابن كثير أنّ "هذه المكاتيب والمعاهدات كانت من دلائل نبوّته، إذ جمعت بين الدعوة والسياسة والرحمة والعدل".[38]

وبذلك أرست هذه الوثائق النبوية أسسَ العلاقات الدولية في الإسلام، التي امتدّت بعد ذلك في العصور الراشدة والعباسية على ذات النهج، القائم على السِّلم، والوفاء، والتعامل الراشد مع الأمم. وإنّ هذا المنهج النبوي إنما ينبثق من قول الله تعالى:**"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا"**[39]

فكانت هذه المكاتيب والمعاهدات الترجمةَ العمليةَ لهذا الخطاب القرآنيّ العالميّ، حيثُ جسّد النبي صلى الله عليه وسلم برسالته وسياسته مفهومَ الشمولية في الدعوة، والمشاركة السِّلمية في بناء النظام الإنساني العادل.

لقد أصبحت الدولة الإسلامية في المدينة المنوَّرة مركزًا عالميًّا للدعوة، تنطلق منها أنوارُ الهداية إلى الآفاق، لا بوصفها دولةً سياسيةً فحسب، بل بوصفها منارةً روحيةً وفكريةً وأخلاقيةً تُوجِّه العالم نحو قيم الإيمان والإنسانية. ومن المدينة امتدَّت رسائلُ الإسلام إلى الملوك والأمم، حاملةً معها دعوةً تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، وتوازنٍ دقيقٍ بين الثوابت العقدية والمصالح الإنسانية.

فقد لخَّص النبي صلى الله عليه وسلم سياسةَ الدعوة الإسلامية في ثلاثة أصولٍ جامعة:

أوّلها :بيانُ العقيدة بوضوحٍ وتدبّرٍ وحكمة، دون إكراهٍ أو تعصّب.

وثانيها :ترسيخُ العدل والمساواة في التعامل مع الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم.

وثالثها :إقامةُ العلاقات الدولية على أسسٍ من السِّلم والحوار والتفاهم المشترك.

وهكذا تحوَّلت المدينة المنوّرة إلى قلبٍ نابضٍ للدعوة العالمية، يجمع بين الإيمان والسياسة، وبين الرسالة والإنسان، في نموذجٍ حضاريٍّ فريدٍ لم تعرف له البشرية مثيلًا.

الاستفادة من القيم النبوية في الواقع الدعوي المعاصر

تتجلّى في سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم وحدةٌ متكاملة بين الدعوة، والحكمة، والسِّلم، والدبلوماسية، إذ لم تكن هذه الجوانب منفصلةً، بل شكّلت نظامًا متناسقًا يخدم غايةً واحدة هي تبليغ رسالة الإسلام للعالمين.

فقد كانت المعاهداتُ والمكاتيبُ النبوية في عصره صلى الله عليه وسلم من أنجع الوسائل لتحقيق الأمن والاستقرار، ونشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وإقامة العلاقات على أساس العدل والاحترام المتبادل.

وما زالت تلك المبادئُ تمثّلُ إلى يومنا هذا منهجًا عالميًّا يصلح أن يكون دليلًا للأمة الإسلامية في تعاملها مع الأمم الأخرى، إذ تُرسي قواعد السلام، والحوار، والتعايش والتبليغ الراشد في عالمٍ تشتدّ حاجتُه إلى هذه القيم النبوية الراقية، وتتمثّل المبادئ الدعوية للقيم النبوية فيما يلي:

المنهج التدرّجيّ في الدعوة

يُظهرُ التأمُّلُ في السيرةِ النبويةِ أنَّ الدعوةَ الإسلاميةَ قامت على مبدأي التدرّج والحكمة، وأنَّ المعاهداتِ والمواثيقَ النبوية كانت تجسيدًا عمليًّا لهذين المبدأين. فلم يفرض النبي صلى الله عليه وسلم الدعوةَ بالقوّة أو الإكراه، بل نشرها بأسلوبٍ تدريجيٍّ من الدعوةِ الفردية إلى الدعوةِ الجماعية، ثم إلى المستوى العالمي في إطارٍ من السلام والحوار البنّاء.لقد كانت تلك المعاهدات بمثابة جسورٍ دعويةٍ مهّدت الأرضيّة لنشر الإسلام، وأقامت مناخًا من الأمن والاستقرار، وفتحت أبواب التواصل والتفاهم بين الشعوب والقبائل.

وتجلّى هذا التدرّجُ في ثلاث مراحل أساسية

ففي المرحلةِ الأولى، أرسى صلى الله عليه وسلم الأمنَ الداخليَّ من خلال المعاهدات المدنية التي نظّمت العلاقة بين المسلمين واليهود وسائر سكان المدينة.

ثم في المرحلة الثانية، جاءت صلح الحديبية التي فتحت المجال أمام انتشار الدعوة في أجواء السِّلم.

وفي المرحلة الثالثة، وجّه صلى الله عليه وسلم الرسائل والوفود إلى الملوك والحكام، حاملاً رسالةَ الإسلام إلى المستوى الدولي.

وهكذا أرست المواثيق النبوية أسسَ سياسةٍ دعويةٍ راشدةٍ قائمةٍ على الحكمة، والتدرّج، والوفاء بالعهد، فجمعت بين الدعوة والإصلاح، وبين السياسة والمبادئ.

الدبلوماسية الدعوية

أنَّ هدفَ الدعوة الإسلامية ليسَ الغلبةُ السياسيةُ أو الاستعلاءُ الثقافي، بل إقناع القلوب، وترسيخُ القيمِ في النفوس من خلال الحوارِ العقلانيّ والقدوةِ الأخلاقيةِ والعدالةِ العملية. لذلك ينبغي على الدول الإسلامية في عصرنا تبنيُ سياسةٍ خارجيةٍ تُسَمَّى "الدبلوماسيةُ الدعوية"، تكون محورها :المكالمة الحضارية، واحترامُ الأديان، وتحكيمُ مبادئِ العدل الدولي، لا السعيُ للتوسع أو الهيمنة. إنَّ تجاربَ السِّيرةِ النبوية من مخاطباتٍ ورسائلٍ ومعاهدات توفّر نموذَجًا تاريخيًّا يُستَخدَم كمرجعٍ عمليٍّ لاستراتيجيةٍ تجمعُ بين الحكمة والرأفة والالتزام بالعهود، بحيث تُمحِّصُ المصالحَ السياسية في ضوء مقاصد الشريعة وضرورات السلم العالمي.

إعادةَ بناءِ النِّظامِ الاجتماعي في المجتمعاتِ الإسلامية

المجتمعاتِ الإسلامية تقتضي استلهامَ نموذجِ ميثاقِ المدينة الذي يُعَدّ في حقيقته أوّلَ وثيقةٍ إنسانيةٍ شاملةٍ أرست مبادئَ الحريةِ الدينية، والتعايشِ السِّلمي، والعدالةِ الاجتماعية قبل قرونٍ من صدور المواثيقِ الدولية الحديثة لحقوق الإنسان. لقد جسَّد هذا الميثاقُ رؤيةً نبويةً سبَّاقةً في تنظيم العلاقة بين مختلف الفئات الدينية والاجتماعية على أساس المواطنة والكرامة الإنسانية.

ومن ثَمَّ، فإنّ على المجتمعاتِ الإسلاميةِ اليوم أن تُعيدَ إحياءَ تلك القيم من خلال نظامٍ اجتماعيٍّ يقوم على التسامح، والمساواة، وضمانِ الحقوق لجميع المواطنين بغضِّ النظر عن معتقداتهم أو انتماءاتهم، لتكونَ الشريعةُ في جوهرها مصدرَ السِّلمِ والإصلاحِ لا أداةَ الصِّراع والانقسام.

استخدام الإعلام كأداة دعوية

يُعَدُّ من أهمِّ الوسائل في العصرِ الحديث لإيصالِ رسالةِ الإسلام إلى العالم. فكما كانت مكاتيبُ النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً راقياً في تبليغ الدعوة عبر الوسائل السياسية والدولية، فإنّ الإعلامَ اليوم يمكن أن يقومَ بالدورِ نفسه في نشرِ قيمِ الإسلام وتعزيزِ الحوارِ بين الأديانِ والثقافات. لقد بيَّنت تلك المكاتيبُ أنَّ الدعوةَ لا تقتصرُ على الجانبِ الديني فحسب، بل تشملُ أيضاً ميادين العلاقات الدولية، والسفارة، والتواصل الحضاري.

ومن هذا المنطلق، فإنَّه ينبغي على المؤسساتِ الدبلوماسية، والجامعات، والمراكز العلمية في العالم الإسلامي أن تضعَ سياسةً إعلاميةً ودعويةً مستنيرةً تستلهمُ من سيرةِ النبي صلى الله عليه وسلم مبادئَ الحكمة، والموعظة الحسنة، واحترامِ الإنسان، بحيث يُصبح الإعلامُ منبراً للتقريب لا للتنافر، وللإقناع لا للإكراه.

عظمة الأخلاق

إنَّ أعظمَ ما اتسمت به قيادةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هو الثقةُ المطلقةُ التي استمدَّها من صدقِه وأمانتِه وعدلِه، حتى اعترفَ بها أعداؤه قبلَ أتباعِه. لقد كان صلى الله عليه وسلم قدوةً في الوفاءِ بالعهدِ، والعدلِ في الحكمِ، والرحمةِ في التعاملِ، فجمع بينَ قوةِ الإيمانِ ورقةِ القلبِ، وبين الحزمِ واللينِ في آنٍ واحدٍ. وهذا الخُلُقُ العظيمُ هو الذي جعلَ الدعوةَ تنفذُ إلى القلوبِ قبلَ العقولِ.

وفي عصرِنا الحاضر، لا يمكنُ أن تنجحَ الدعوةُ الإسلاميةُ إلا إذا كان الداعيةُ صادقَ القول، حكيمَ الفعل، أمينَ الخُلُق، متأسّياً بالنبيّ صلى الله عليه وسلم في سيرتِه القياديةِ والأخلاقيةِ. إنَّ تحسينَ صورةِ الإسلامِ في العالم، وتعزيزَ ثقته بين الأمم، لا يتحققُ إلا حينما يكونُ الخطابُ الدعويُّ مؤسساً على الصدقِ والرحمةِ والالتزامِ الأخلاقيّ .لذا، فإنَّ على العلماء، والدعاة، والمؤسسات الإسلامية أن يجعلوا هذا الرصيدَ الأخلاقيَّ النبويَّ محوراً لسياساتهم الفكرية والإعلامية والدعوية، لأنه هو القاعدةُ التي تُبنى عليها حضارةُ الإيمانِ والإنسان.

الدبلوماسية قائمة على العدلِ والشفافيةِ والوفاءِ بالعهد

إنَّ جوهرَ الدبلوماسيةِ في سيرةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقومُ على ثلاثةِ أركانٍ أساسيةٍ : العدل، والشفافية، والوفاء بالعهد .فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في أيّ مرحلةٍ من مراحلِ دعوتِه يستخدمُ الخداعَ أو الغموضَ السياسيَّ، بل كانت معاهداتُه قائمةً على الصدقِ والوضوحِ، وهو ما جعلَ خصومَه قبلَ أتباعِه يثقونَ في كلمتِه.ومن هذا المنطلق، ينبغي لِدُوَلِ العالمِ الإسلاميّ في العصرِ الحديثِ أن تُعيدَ صياغةَ علاقاتِها الدوليةِ وفقَ هذه المبادئِ النبويةِ، فتجعلَ من العدلِ والشفافيةِ واحترامِ الالتزاماتِ الدوليةِ منهجاً أخلاقياً في دبلوماسيتِها السياسيةِ والتجاريةِ.

إنَّ هذه القيمَ ليست ترفاً أخلاقياً، بل هي ضرورةٌ شرعيةٌ وسياسيةٌ لضمانِ مكانةِ الأمةِ الإسلاميةِ بين الأمم، كما كانت في المدينةِ المنوَّرةِ حين كان العدلُ هو أساسَ الدولةِ والمعاهدةِ معاً.

إنشاءُ مؤسَّساتٍ تدريبيةٍ دوليةٍ في مجالِ الدعوةِ والتواصلِ الحضاري

إنَّ من ضروراتِ العصرِ في ميدانِ الدعوةِ الإسلاميةِ تأسيسَ مؤسَّساتٍ متخصّصةٍ في التدريبِ الدوليّ للدعاةِ والعلماءِ والطلبةِ، بحيثُ تُعنى بتأهيلِهم معرفيًّا ومهاريًّا في مجالاتِ القانونِ الدوليّ، والإعلامِ

المعاصرِ، والدبلوماسيةِ الثقافيةِ، ليكونوا قادرينَ على تمثيلِ الإسلامِ في المحافلِ الدوليةِ بروح علمية راقية وأسلوب حضاريّ مؤثر.فالعصرُ الذي نعيشُه لم يَعُدْ يكتفي بالخطابِ الدينيّ المحليّ، بل يقتضي إعدادَ دعاةٍ يفهمونَ لغةَ الأممِ، ويُحسنونَ عرضَ قيمِ الإسلامِ في إطارٍ قانونيّ وإنسانيّ عالميّ.

مراكزُ الحوارِ بين الأديانِ، والمناهجُ الأكاديميةُ والدعويةُ المعاصرة

إنشاءُ مراكزٍ للحوارِ بين الأديانِ والثقافاتِ على نمطِ ميثاقِ المدينةِ الذي أرسى النبي صلى الله عليه وسلم من خلالِه مبدأَ التعايشِ السلميّ والتعاونِ الإنسانيّ بين مختلفِ الطوائفِ.

تلك المراكزُ يمكنُ أن تكونَ جسورًا للتفاهمِ الحضاريّ، تُسهمُ في تصحيحِ صورةِ الإسلامِ، وتدعمُ الجهودَ الدعويةَ بالمنهجِ العلميّ والممارسةِ العمليةِ.

فكما وضعَ النبي صلى الله عليه وسلم الأساسَ ل"دبلوماسيةِ الدعوةِ"، فإنَّ إقامةَ هذه المؤسَّساتِ اليومَ هي امتدادٌ طبيعيٌّ لذلك المشروعِ النبويّ الخالد.

فالخلاصة: أن السياسة الدعوية النبوية قامت على مبادئ راسخة من الحكمة والعدل والسلم واحترام العهود، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الدعوة والسياسة، وبين الرحمة والحكمة، فأصبحت معاهداته ومكاتيبه نموذجا فريدا في السفارة الإسلامية القائمة على القيم والمبادئ. وفي ضوء ذلك، ينبغي للأمة الإسلامية في العصر الحاضر أن تحيي هذه الأسس في مجال سياساتها وعلاقاتها الدولية، من خلال إنشاء مراكز للتدريب الدعوي والمعارف القانونية والإعلامية، وتفعيل الحوار بين الأديان والثقافات على نمط ميثاق المدينة، حتى يقدموا الإسلام للعالم رسالة سلام وعدل ورحمة، كما أراده النبي صلى الله عليه وسلم.

.....

الهوامش

1 النحل:125

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، 1999م، ج3، ص 525

3 ابن هشام، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 261–263

4 الزهري، المغازي والسير، تحقيق محمد بن شامة، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص 35–38

5 محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، 1987م ،ص 45–48

6 ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل، بيروت ، 1991م، ج3، ص 25

7 الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، 2005. ، ج2، ص 310

8 الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج2، ص 298

9 محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 25–28

10 ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 501–505
11 الواقدي، المغازي ، دار الأعلمي، بيروت، 1989م، ج1، ص 372–374
12 ابن كثير، البداية والنهاية، دار هجر، القاهرة، 1417 هـ ، ج3، ص 222–224
13 الزهري، السير والمغازي، ص 95–97
14 الفتح: 1
[15] ابن القيم. الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ، ج3، ص 295
16 السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج4، ص 42–44
17 ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص 318–322
18 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م ج2، ص 114-112
19 ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص 59–61
20 الطبري، محمد بن جرير ،تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف، القاهرة، 1967م، ج2، ص 647–650
21 ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 503
22 ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 223–224
23 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1 ص 373-371
24 ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، ص688
25 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص268
26 ابن هشام، السيرة النبوية،ج2، ص147
27 الفتح: 1
28 ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص332؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص169
29 ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص282
30 الواقدي، المغازي، ج1، ص368
31 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص268–280
32 محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص101–132
33 ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص321–333
34 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص268–280
35 نفس المرجع
36 ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص272
37 البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988)، ص. 64
38 ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4 ص249-250
39 نفس المرجع